ترجمة الصابي

البيتان لابي اسحق الصابي من الطويل ورايت في اليتيمة البيت الاول بلفظ تورد بدل تشابه والشاهد فيهما ترك التشبيه
والعدول الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحد من الشيئين مشبها به احترازا من ترجيح احد المتساويين في وجه الشبه فالشاعر
لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم يعتقد ان احدهما زايد في الحمرة والاخر ناقص فيلحق به حكم بينهما بالتشابه ليكون
ومثله التشبيه في معناه قول الصاحب بن عباد: رق الزجاج ورقت الخمر ، وتشابها فتشاكل الامر ، فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر ، وقوله ايضا من ابيات: متغايرات قد جمعن وكلها ، متشاكل اشباحها ارواح ، واذا اردت شرح هذا فقل
فالراح والمصباح والتفاح ، لم يعلم الثاني وقد جمعن لي ، من اي هذي تملأ الاقداح ، ومثله ما كتب به ابو الوليد بن زيدون
الى المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية مع تفاح اهداه اليه: يا من تزينت الرياسة ، حين البس ثوبها ، جاءتك جامدة المدام
فخذ عليها ذوبها ، وهو من قول الخليع: الراح تفاح جرى ذائبا ، كذلك التفاح راح جمد ، فاشرب على جامدة ذوبه
ولا تدع لذة يوم لغد ، وللسري الرفاء في معناه: وقد اضاءت بجو مجلسنا ، حتى اكتسى عزة واوضاحا ، لو جمدت راحنا اغتدت وهذا
او ذاب تفاحنا اغتدى راحا ، وللطاهر الحاجب في هذا المعنى: وليلة قربت اهزم بردها ، بجيشين من خمر عتيق ومن جمر
فطورا الى الخمر ذائب جمرها ، وطورا الى الجمر من جمد الخمر ، والصابي هو ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن هرون الحراني قال في حقه
ابو منصور الثعالبي هو اوحد العراق في البلاغة ومن به تثنى الخناصر في الكتابة وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية
من البراعة في الصناعة وكان قد بلغ السبعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء وتقلد الاعمال الجلائل مع ديوان
الرسائل وحلب الدهر اشطره وذاق حلوه ومره ولابس خيره وشره ورأس وخدم ومدحه شعراء العراق في جملة
الرؤسا وشاع ذكره في الافاق ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تتلألأ درره وتتكاثر غرره وفيه يقول بعض
اهل العصر: اصبحت مشتاقا حليف صبابة ، برسائل الصابي ابي اسحق ، صوب البلاغة والحلاوة والحجى ، ذوب البراعة
سلوة العشاق ، طورا كما رق النسيم وتارة ، يحكي لنا الاطواق في الاعناق ، لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ، كتبت بدايعه
على الاحداق ، ويقول ايضا: يا يوس من يمنى بدمع ساجم ، يهمي على حجب الفواد الواجم ، لولا تعلله بكاس مدامة ، ورسائل
الصابي وشعر كشاجم ، ويحكى ان الخلفاء والملوك والوزراء داروه كثيرا على الاسلام وداروه بكل حيلة وغنيمة
جميلة حتى ان السلطان عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة ان اسلم فلم يهده الله للاسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان
يعاشر المسلمين احسن عشرة ويخدم الاكابر ارفع خدمة ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القران حفظا يدور
على طرف لسانه وسن قلمه وكان ايام شبابه واقباله احسن حالا وارخى بالا منه في ايام اكتهاله وفي زمن كهولته اورى
زندا واسعد جدا منه لما كبر واخذ منه الهرم ففي ذلك يقول من قصيدة فريدة كتب بها الى الصاحب يشكو شيبته
وحزنه وتسيطر بخاطره وفرته بعد ان كان يخاطبه بالكافي ولا يرفعه على درجة الاكفاء: عجبا لحظي اذا راه مصالحي ،

عص

٨٤

عمر الشباب وفي المشيب مغاضبي ، امن الغواني كان حتى خانني ، شيخا وكان لدى التشبيه صاحبي ، امن التضعضع ملني شيخا
دمع التوجع كان غير مجانبي ، يا ليت صبوته الي تاخرت ، حتى يكون ذخيره لعواقبي ، وكان المهلبي لا يرى الدنيا الا به ويحب
على براعته وتقدم قدمه ويصطنعه لنفسه ويستدعيه في اوقات انسه فلما مات المهلبي وابو اسحق يلي ديوان الرسائل
والخلافة على ديوان الوزارة اعتقل في جملة عمال المهلبي واصحابه فمن ذلك قوله في الاعتقال من قصيدة: يا ايها
الوزرا دعوة خادم ، اوفت وسايله على التعديد ، ايجوز في حكم المودة عندكم ، حبسي وطول تهددي ووعيدكم ، تها
الشيم كيما تحت فضولها ، بفضول درعكم متفود ، ورسايل لا تلتفت الى ظرفكم ، عبد الحميد بهن غير مجيد ، يهتز سامعهن
من طرب كما ، هز النديم سماع صوت العود ، منها: وقرت حظاه خلاخل من قيده ، فتراه فيها كالفتاة الرود ، يمشي الهوينا
ذلة لا عزة ، مشي الخريف الخايف المزؤد ، ولما خلي عنه واعيد الى عمله لم يزل يعلو ويقع ويخفض ويرتفع الى ان دفع في
ايام عضد الدولة الى النكبة العظمى والطامة الكبرى اذ كانت في صدره حزازات كثيرة من انشايه له عن الخليفة وعن
بختيار فتمها منه واحتقدها عليه قيل كان من اقوى اسباب تغير عضد الدولة لابي اسحق بعد ميله اليه وقصده **فصل**
له من كتاب انشاه عن الخليفة في شان بختيار وهو وقد جدد له امير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق والمعالي
السوامق التي يلزم كل دان وقاص وعام وخاص ان يعرف له حق ما اكرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها فان عضد
الدولة انكر هذه اللفظة اشد انكار ولم يشك في التعريض به واسرها في نفسه الى ان ملك بغداد وساير العراق
وامر ابا اسحق بتاليف كتاب في اخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه وشرح سيره وحروبه وفتوحه
فامتثل امره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي واشتغل به في منزله واخذ يتانق في تصنيفه وترصيفه ويتنقى من دوحه
على تقريظه وتشنيفه فرفع الى عضد الدولة ان صديقا للصابي دخل اليه فراه في شغل شاغل من التعليق والتسويد
والتبديل والتبييض فساله عما يعمله من ذلك فقال اباطيل انمقها واكاذيب الفقها فاضاف تاثير هذه الكلمة
في قلب عضد الدولة الى ما كان في نفسه من ابي اسحق وحركت من حفيظته الساكن واثار من سخطه الكامن فامر بان
يلقى تحت ارجل الفيلة فاكبت جماعة من ارباب الدولة على الارض يقبلونها بين يديه ويستشفعون اليه في امره و
يتلطفون في استيهاب جرمه الى ان امر باستحيائه مع القبض عليه وعلى اسبابه واستصفاء امواله فبقي في ذلك
الاعتقال بضع سنين الى ان تخلص في اخر ايام عضد الدولة وقد رثت حاله وتهتك ستره وكان الصاحب بن
عباد يحبه اشد الحب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار والصابي يخدم حضرته بالمدح وكان الصاحب
يتمنى انحيازه اليه وقدومه عليه ويضمن له الرغائب على ذلك اتم الضمان وكان هو يحتمل ثقل الخلة وسوء العطلة
ولا يتواضع للاتصال بخدمة الصاحب بعد كونه من نظرايه وتحليه بالرياسة في ايامه وكان الصاحب كثيرا ما يقول كتاب

Copyright © King Saud University